صورة العرب في الذهنية الامريكية

د. رفيق سكري*

■ قرأت منذ فترة قصيرة في جريدة «القدس العربي» خبرا مفاده ان استطلاعات الرأي العام في الولايات المتحدة الامريكية اظهرت ان غالبية الامريكيين تحمل مشاعر العداء للعرب وللاسلام كدين. فالمسلمون حسب هذه الاستطلاعات، في عمومهم وغالبيتهم لديهم نزعات عنف وميل للارهاب، ثم ان دينهم يساهم الى حد كبير في حقنهم بمشاعر الكراهية ضد الآخرين. وهذا الشعور بالكراهية ضد الآخرين، يقول الاستطلاع، مرتبط بالقرآن الكريم لانه، اي القرآن الكريم، هو نفسه يبشر بالكراهية!

الملفت للنظر ان نتائج الاستطلاعات الحالية تتشابه بل وتتطابق مع دراسة ظهرت عام 1987 للدكتور ميخائيل سليمان باللغة الانكليزية والتي ترجمها مشكورا الى العربية الاستاذ عطا عبد الوهاب تحت عنوان «صورة العرب في عقول الامريكيين». هنا تجب الاشارة ان هذه الدراسة صدرت عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

ماذا تقول هذه الدراسة؟

تقول يحمل الامريكيون على العموم آراء سلبية عن العرب والمسلمين. ففي استقراء قام به المؤلف كانت النظرة اليهم، اي العرب، بانهم شعب متأخر بدائي غير متحضر شعب ملبسه غريب ويسيء معاملة المرأة، مولعا بالحروب متعطشا للدماء، غدارا ماكرا قاسيا كسولا شهوانيا حقودا انتقاميا وخانعا للسلطة.

في دراسة قام بها الكاتب على عينة من المدرسين والتلاميذ في احدى المدارس الثانوية في الولايات المتحدة الامريكية توصل الكاتب الى ان نسبة كبيرة من المستجوبين يحملون مشاعر عدائية للعرب.

فالعرب، بالنسبة لهؤلاء الامريكيين وقحين متعصبين غير عقلانيين. والعرب كذلك اثرياء نفط وتجار حروب يتكالبون على السلطة مستغلون للنفط، دونيون محتالون، جبناء متخلفون، بدائيون، متوحشون برابرة قذرون.

الملاحظ ان هذه الصورة السلبية عن العرب في الشخصية الامريكية لم تتغير على الاطلاق، مع الأسف الشديد، بل زادت سوءا. هذه المواقف السلبية ضد العرب من قبل الامريكيين نعيشها ونراها يوميا في افغانستان وفي العراق وحتى في الولايات المتحدة الامريكية نفسها.

لعلنا نتذكر البث التلفزيوني الامريكي يوم القبض على الرئيس العراقي صدام حسين. كيف انهم، اي الامريكيين، عرضوا علينا الرئيس العراقي بصورة العربي «الوحش» «البدائي» ولكنه المروض في ايدي المتحضرين جدا والنظيفين جدا من ابناء العم سام.

هذه الصورة الايقونية، حسب تعبير الاستاذ الياس خوري في مقاله (الوحش والطبيب) على صفحات جريدة «القدس العربي»، التي يراد تسجيلها في الذاكرة العربية والى الابد، رجل طريد اشبه بالبدائي والوحش في مواجهة المتحضر حامل القفازات؟ انه الشرقي النمطي العربي المتوحش او الوسخ في مواجهة المتمدن والنظيف! الحضارة، واية حضارة، تعالج البربرية، حسب قول الاستاذ الياس خوري.

هذه الصورة للوحش او المتوحش والبدائي التي عرضها علينا هؤلاء المتحضرون جدا للرئيس العراقي صدام حسين كان الغرض منها في الواقع.

ـ اظهار العربي كوحشي وبدائي، بمعنى آخر اظهار الصورة الحقيقية التي يحملونها تجاهنا.

ـ الانتقام والاهانة للرئيس العراقي، بمعنى آخر اهانة كل عربي يحمل شيئا من الكرامة والعزة والعنفوان.

ـ اخيرا رسالة واضحة الى كل زعيم او رئيس عربي يحاول ان يتطاول او يتمرد على المتحضرين من الامريكيين. أي بمعنى آخر قتل روح المقاومة والرفض لدى كل عربي في النهاية.

وماذا عن الاسلام كدين ومواقف الامريكيين منه؟

في دراسة استطلاعية قام بها د. ميخائيل سليمان على بعض العينات في احدى المدارس لمعرفة آرائهم حول الاسلام كدين. كانت الاجابات متشابهة بل متطابقة مع الاستطلاعات الحالية، التي اشرنا اليها في بداية مقالنا.

فالاسلام، حسب رأي هؤلاء، عقيدة دينية تخنق الابداع. والمسلمون، بطبيعة الحال متعصبون قدريون متخلفون لم يساهموا بأي شيء. وهم، اي المسلمين بطيئون في قبول التغيير، ثم انهم اتباع ديانة غريبة عجيبة وهم شعب ذو دين مضحك وسخيف.

يتساءل د. ميخائيل سليمان في دراسته عن الاسباب التي ادت او التي حملت الامريكيين الى تبني هذه القوالب السلبية تجاه العرب والمسلمين؟

يقول د. ميخائيل سليمان: «ورث الامريكيون هذه الصورة عن الغرب الا انهم اضافوا عليها عوامل امريكية بحتة».

ويرى د. ميخائيل سليمان ان هناك ثلاثة عوامل جديدة اضيفت الى الصورة الاوروبية عن العرب، هذه العوامل هي.

الميل الامريكي للمماهاة مع العبرانيين القدماء، عقيدة الهمجية وعقيدة الرسالة.

يشرح د. ميخائيل سليمان هذه العوامل ويقول «يمتاز البيوريتانيون من ولاية نيو انكلند على الاخص بأنهم ينظرون الى انفسهم باعتبارهم بني اسرائيل، تشبها بل اعتقد البعض، مثل كوتن ميثر، ان الهنود الحمر هم من نسل الحثيين والكنعانيين. وكان تشبيه العرب بالهنود الحمر قد وضع مبكرا وهكذا رأى المستوطنون الامريكيون الاوائل انفسهم على انهم من بني اسرائيل القدامى، فان امريكيي القرن العشرين غالبا ما يقارنون الاسرائيليين الحديثين بالرواد الامريكيين».

ويتابع د. ميخائيل سليمان «اما عقيدة الهمجية فقد طورها رواد امريكا الاوائل لحماية انفسهم بالاساس كشعب متحضر من الهنود الحمر «غير المتحضرين».. بيد ان النقطة هي ان عقيدة الهمجية والتوجه الاساسي نحو الهنود الحمر قد طبقا بعدئذ على العرب، وبخاصة على عرب فلسطين في نزاعهم مع الصهيونية واسرائيل.

اما عامل الرسالة فالامريكيون يعتقدون انهم يحملون رسالة تبشيرية على المستوى العالمي، خصوصا ازاء غير المتحضرين.

تكتب هيلين م. كيرني: «ان معظم كتابات المبشرين تؤكد ان المسلمين او الشرقيين عموما تعيش في حالة بربرية وحالة نقصان اخلاقي وفكري. كما ان المسلمين يعيشون حالة كسل يتعذر استئصالها. كما ان هناك حالة تواكل ناشئة عن الايمان بالقضاء والقدر.. ان القيم الاجتماعية الثانوية والمواقف الطائفية ازاء الحقيقة والحرية الفردية وقدسية الحياة الانسانية والرق ومركز المرأة والتكنولوجيا قد عززت وابدت نظاما معاديا للحداثة لدى هؤلاء المسلمين».

ان المتمعن لهذه العوامل الثلاثة، الآنفة الذكر، يرى فيها بكل وضوح الدعامة الاساسية لايديولوجية المحافظين الجدد الذين يحكمون الولايات المتحدة الامريكية حاليا.

فعامل الميل او المماهاة مع العبرانيين القدماء نراها بكل وضوح في التعابير التالية:

اسرائيل هي حليفة الغرب والحامية لمصالحه وقيمه في المنطقة العربية.

اسرائيل هي القاعدة المتقدمة للغرب في المنطقة العربية.

اسرائيل تحقيق لنبوءة الاصوليين المسيحيين.

المسيحية والصهيونية ترى في عودة اليهود لفلسطين جزءا من البرنامج الآلهي لنهاية الازمنة.

ضمن هذه المعطيات فاليهود يظلون دائما في وسائل الاعلام الامريكية جماعة مفضلة على قلوب الامريكيين.

اما عقيدة الهمجية فالمسلمون والعرب منهم ينظر اليهم دائما كخطرين متعطشين للدماء او شرذمة من الارهابيين. وينظر الى قيمهم على انها بالية قديمة غير اخلاقية. الم نسمع عن خطط عربية مزعومة لسرقة او صنع اسلحة نووية وتطويرها واستعمالها بصورة من الصور لتهديد، بل وحتى تحطيم الاقطار الغربية او تعريض الحضارة العربية للخطر!

اما ما يقال حول عقيدة الرسالة من اقوال. ما الكل سمع ويسمع، منذ فترة، عن محور الخير (هم) ومحور الشر (الآخرين) وعن محور المتحضر والمتمدن (هم) ومحور المتخلف والهمجي (الآخرين).

وكيف انهم ضحوا بالغالي والنفيس لنشر رسالتهم الحضارية، خصوصا الديمقراطية منها. والعراق مثال صارخ على رسالتهم الديمقراطية هذه.

وينهي د. ميخائيل سليمان في احدى صفحات كتابه بعبارة تحمل الكثير من المعاني والدلالات ويكتب: «يكاد يكون الامريكيون العرب الجماعة العرقية الوحيدة التي يحس الامريكيون ان بوسعهم مهاجمتها والاستهزاء بها من دون خوف او اذى او حتى عقاب. يجري هذا احيانا في وسائل الاعلام كافة». وليس من المبالغة، يتابع د. ميخائيل سليمان، «ان نقول ان الامريكيين العرب يجدون من الصعب الاستمتاع بمشاهدة التلفزيون او الذهاب الى النوادي الليلية او دور السينما لخشيتهم من سماع ملاحظات معادية ونابية موجهة الى شعوبهم».

ان ظاهرة التطاول والاستهزاء على العرب وعلى المسلمين نعيشها يوميا في صور حية او كتابات مباشرة من قبل هؤلاء المتحضرين من ابناء العم سام وغيرهم. فمن تدنيس القرآن الكريم في غوانتانامو وافغانستان ومن التطاول والاستهزاء بنبينا محمد «صلعم» واظهاره برسوم لا تليق حتى بانسان عادي الى قتل المصلين وهم في المساجد في الفلوجة وفي جنين. الى مشاهد التعذيب في ابو غريب الى انتهاك كرامات واعراض الناس الى.. الى..

يصف احد المعتقلين في معتقل غوانتانامو شعوره بعد الافراج عنه ويقول انني جرحت في ايماني وكياني وكرامتي وكذلك انسانيتي.

وماذا عن الاهانات التي نسمعها من وقت الى آخر عن رفض او تأخير مقابلات من الجانب الامريكي لبعض الحكام العرب!

وماذا عن اهانات الامريكيين شبه اليومية لحكام العراق الجدد. فمن رفض كامل للمقابلة او الانتظار الطويل للمقابلة الى الاهانة والتوبيخ والشتم والجر وكذلك تقييد اليدين والحبس. يقول رئيس الحزب الاسلامي وعضو البرلمان المنتخب والمرشح لتولي وزارة وربما رئيس جمهورية العراق مستقبلا «بطحوني، يقصد الامريكيين، على ارض حديقة منزلي انا وولدي ووضع الجنود الامريكان احذيتهم على رأسي لمدة 15 دقيقة ثم نقلوني بطائرة هليكوبتر للتحقيق معي».

يكتب الاستاذ حمدان حمدان الفلسطيني المقيم في سورية على صفحات جريدة «القدس العربي» ويقول «ان التطاول على الاسلام، لا يختلف بشيء عنه في التطاول على الاوطان، وتبقى انظمة مليار ومئتي مليون مسلم وعربي، في كون عالمي فسيح هي المسؤولة الاولى عن تصاعد الجرأة في التطاول، هذا لو كان لاكثرها حق فتح الفم.. الا في طلب امتلاء المعدة وادامة العرش والنهب، وربما شهوات اخرى!».

والسؤال وماذا عن نشاطات الجالية العربية في الولايات المتحدة الامريكية؟ وماذا عن الملايين او البلايين التي صرفت من قبل بعض الحكام العرب لدعم اهداف امريكية صرفة هنا وهناك؟ وماذا عن سياسة الانبطاح الكلية للرغبة الامريكية من قبل اغلب الحكام العرب؟

ان كل هذا، مع الأسف الشديد، لم يعط اية نتيجة او اي تغير للرؤية الامريكية السلبية تجاه العرب وتجاه المسلمين.

اخيرا لا بد من القول ان التطاول علينا والاستهزاء بنا لم يكن ليحصل لو اننا منينا بحكام عرب ومسلمين يحملون الحد الادنى من الكرامة. اعتقد ان زمن الكبار والعمالقة من الحكام قد ولى. لقد اصبحت الساحة الرسمية العربية تعج بالصغار وحتى الاقزام منهم.

اما الكبار والعمالقة من الحكام العرب فمنهم من توفي ومنهم من استشهد ومنهم من تسمم، ومنهم ما زال مسجونا في احد السجون في ايدي حملة الرسالة والحضارة والديمقراطية من الصليبيين والبرابرة الجدد.

* كاتب من سورية يقيم في المانيا

أين أخطأ خالد مشعل؟

عدنان أبو عامر*

■ قرأت واستمعت لخطاب السيد خالد مشعل أكثر من مرة، وبعيدا عن بعض التغيرات التي طرأت على محياه، فلم أشعر أنه تجاوز محرمات وطنية، أو خطوطا حمراء، بحيث يستدعي خروج حفلات السيرك البهلوانية، وصدور البيانات المعدة سلفا، التي ذكرتنا بما قرأناه عن بيانات الحرب الأهلية في لبنان، ومواسم انشقاقات فصائل منظمة التحرير، بالعكس فقد يكون ما تحدث به الخطاب يعكس لسان حال الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة والقطاع، وربما تحسب لمشعل قدرته على الاستشعار عن بعد وتحسسه لما يجول في خواطر الفلسطينيين من سوء المآل الذي وصل إليه بعض أبنائهم والمنتسبين إليهم...

حجم الغضب الذي كان يتسم به الخطاب عبر عن أزمة، وهي أزمة ظاهرة وبادية يعاني منها الفلسطينيون، كل الفلسطينيين، باستثناء المشاركين في افتعال هذه الأزمة الخانقة، التي تأخذ أبعادا اقتصادية وأمنية وإدارية، ولم يكن بالإمكان على رجل يقود حركة تقود الفلسطينيين وتتحدث باسمهم، بعد ان انتخبوها بصورة ديمقراطية نزيهة انطلاقا من حق مكتسب لهم، وليس منة من أحد، أن يبدو كما لو أن حجم الأزمة التي تحدق بشعبه لا تعنيه من قريب أو بعيد.

ربما نتفق أو نختلف على حجم جرعات الغضب التي كان بإمكان مشعل أن يرسلها للجماهير، التي تتلقف خطاباته بصورة لفتت أنظار جميع الإعلاميين والصحفيين، بعد ان تحول إلى شخصية كاريزماتية آسرة، ولكن نستطيع التكهن أن الغضب الذي لم يعتد الفلسطينيون على رؤيته على محيا أحد كبار زعمائهم فيه كان مرده إلى أن السيل قد بلغ الزبى!

لقد انتظرت طويلا لأعلق على الخطاب الذي أخذ حيزا واضحا من مداد الكتاب، وصفحات الجرائد، وساعات بث الفضائيات، فوصلت إلى استنتاجات أهمها:

1– من انتقد خطاب مشعل يأخذون على قادة حماس أنهم يفتقرون إلى القدرة في عدم مجاراتهم للواقع الدولي، وألاعيب السياسة الدولية، طبعا بالمفهوم الميكيافيلي الرخيص، وإلا فقد كان المطلوب من مشعل حسب من انتقده أن ينقل للشعب رسالة خادعة كما فعلها من سبقه في قيادتنا نحو الهاوية!

2– مشكلة مشعل، كما قادة حماس أنهم لا يتقنون استخراج الابتسامات الصفراء التي يتقنها غيرهم بجدارة، ممن باتوا ممقوتين من قبل الجمهور الذي يراهم يتقنون دور: برز الثعلب يوما!! وبالتالي أخفق مشعل غير آسف بالتأكيد في استنساخ تلك الابتسامات التي تصنع خصيصا في ردهات الكونغرس والكنيست!

3– لم يخطئ مشعل حين تمسك بالمقاومة، وأعلن دعمه لها وقال بصورة واضحة: رفضنا للتنازل مقاومة، وبقي قاموسه اللغوي مليئا بعبارات الاعتزاز بالمقاومين والشهداء الأكرم منا جميعا، يحتضنهم ولا يحقرهم، يسمو بهم ولا يتنصل منهم، ربما يعتبرها بعض المتسيسين سوء حصافة وقلة فطانة، فلا بد من مسايرة المجتمع الدولي، ولو أدى بنا ذلك إلى أن نصف مقاومتنا بالحقيرة!!

4– لا أعرف إذا كان الفتحاويون يذكرون ثورة «الإصلاحيين الجدد» المدعومة من «المحافظين الجدد» بمحاولة الانقلاب على ياسر عرفات، ووقف يومها خالد مشعل من دمشق، نعم من دمشق، يعلن رفضه لهذا الأسلوب الانتهازي الذي يحاول الانقلاب على زعيم محاصر من قبل العالم كله!

لم يكن موقف حماس حينها انفعاليا أو عاطفيا، ولم يكن تضامن مشعل مع عرفات هياما فيه، لكنه الموقف الوطني الذي تؤجل فيه الاختلافات الداخلية إلى حين الانتهاء من التهديد الخارجي... أليس كذلك؟ وبالتالي كان من حق مشعل أن يتوقع مساندة حركة فتح للحكومة وهي تواجه حصارا إسرائيليا وعالميا وعربيا، أو على الأقل تركها وشأنها تدير تركة وإرثا مسيئا لسلطة قادت شعبنا لأن يكون تحت طائلة الديون والارتهان المالي والاقتصادي!!

5– ليس ذنب مشعل أنه فكر للحظة واحدة أن الكل الفلسطيني لا بد وأن يتوحد في مواجهة حصار ظالم جائر، لكنه فوجئ بصبيانية رخيصة ومراهقة طائشة، يمارسها بعض العواجيز السياسيين الذين مللناهم وهم يقودونا من نكبة لأخرى!

وبالتالي لم يخطئ مشعل حين منح أبا مازن فرصة في حوار القاهرة فور انتخابه وأعلن التهدئة مع قوى المقاومة، حرصا منه على وصول الفلسطينيين إلى قواسم مشتركة، ولكن الخطأ لازم أبا مازن هذه المرة وهو يشهر أمام الحكومة ليل نهار سيف الصلاحيات، ونسيت مؤسسة الرئاسة أنها كانت إلى أمد قريب مسلوبة الإرادة بفعل استضعافها والنيل منها من كل من هب ودب!

6– لم يخطئ مشعل وهو يتحدث ليل نهار بلسان الوحدة والاصطفاف في صف واحد، وفي اللحظة التي فهمت رسائله بصورة خاطئة، كان لزاما عليه ان يعيد قراءة الرسالة ولكن بصورة أخرى، فكان ما كان، ولذلك لم يستهدف مشعل في خطابه حسب ما قرأت وحللت، جموع عناصر فتح وأبنائها، وإنما قصد كل من يضع العصي في دواليب الحكومة، ويصطف إلى جانب العالم كله في حصار الشعب، ومن يقضي بعض الأمسيات الترفيهية في تل أبيب! فهل هذه سلوكيات يقوم بها كل أبناء فتح؟ بالتأكيد لا...

7– لم يخطئ مشعل وهو يلبس كوفية عرفات، ويضع خلفه صور الشهداء ياسين والرنتيسي وأبو جهاد والشقاقي وأبو علي مصطفى وأبو العباس، وتحلل من موقعه التنظيمي وصولا إلى الموقع الأعم والأشمل بالحديث العام باسم الشعب الفلسطيني، من أخطأ حقيقة وارتكب خطيئة لن تغسلها مياه الأرض أولئك الذين يتحدثون باسم (القيادة الفلسطينية) وليس بينهم وبين الفلسطينيين سوى استخدام اسمهم لبيع حق عودتهم في وثيقة جنيف سيئة الذكر! معذرة إنهم ليسوا قيادة فلسطينية، وإنما فصائل (البي أم) على ذمة فيصل القاسم!!

* باحث وأكاديمي من فلسطين

القيادات الكردية العراقية مدمنة على التصيد بالمياه العكرة

جمال محمد تقي*

■ قوة العادة غلابة عند المهيمنين على مناطق شمال العراق ذات الاغلبية السكانية الكردية، في استسهال ممارسة حرفة التصيد بالمياه العكرة، محليا وعراقيا وبما يحيطها اقليميا ودوليا، لقد وصل بها الحال الى عرض خدماتها بالسر والعلن لكل قوي طامع، ويريد اضعاف العراق، معتقدة ان هذا المسلك سيعود عليها بالمنعة والقوة ويجعلها في مأمن! حتى غدت وكأنها لا تحسن غيرهذا الاسلوب الميكافيلي في طموحها الذي ألحق «برعاياها» وبالوطن ابلغ الضرر.

لا تستقيم الاستقامة مع منطلقاتها ومبرراتها وطريقة تفكيرها وتدبيرها الانتهازي والضيق الافق، في التعاطي والتجاذب داخليا وخارجيا، وعلى مدى زمني يتسع لاكثر من نصف قرن تخللته ممارسات في اغلبها قاصرة تنم عن صبيانية وارتزاق احمق، لقد نبتت ملامح هذه الحرفة منذ منتصف اربعينيات القرن الماضي، فهذه القيادات هي هي تتوارث الزعامة على رعاياها، وكأنها مشايخ مؤبدة في مواقعها، لا يزحزحها الا الشديد القوي؟

هي اسيرة لنزعة اقطاعية متخلفة، انها تمالي وتساير الاقوياء دوما للحفاظ على مواقعها بالضد من اية محاولة محلية اومركزية للتواصل مع التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للبلاد، ومسيرتها ككل واحد، سلبا وايجابا، الامر سيان، بالنسبة لها مادام ذلك يفتح الطريق لبدائل تحجم تسلطها وتحرمها من الاستفراد بمناطقها، فأي تفاعل يتطلب الانفتاح، تعارضه وتعاديه خشية تسببه في عزوف الاهالي عن اتباعها، وهي قد جربت بعد الفراغ الذي نشأ خلال فترة اقامة الجيب الامن في شمال العراق، اي منذ سنة 91 وحتى الان فكانت عنوانا صريحا للابتزاز والاستبداد والفساد الذي تضاعف بعد احتلال العراق واخذ منحى خطيرا في التهيئة الرسمية لتقسيمه، ومن لا يجاريها بذلك فبالترهيب والترغيب تتحلحل عقده!

الممارسات تكذب الشعارات

سوف لن نغوص كثيرا في التاريخ البعيد لهذه القيادات وممارساتها، وسنكتفي بذكر المعالم القريبة والاكثر وضوحا فيها .

اشتد عداء هذه القيادات للحكم الوطني الجمهوري الاول، بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم واخذت تتحرك مع اعداء الجمهورية «ايران وشركات النفط الاحتكارية واسرائيل» للاطاحة بالنظام، وقتها، علما ان السبب الجوهري في خلافها مع حكومة قاسم هو تطبيق قانون الاصلاح الزراعي، الذي رفض من قبل الاغوات، اقطاعيي الارض والثورة الكاذبة، فكان العمل المسلح الذي قام به اتباعهم، بما سمي لاحقا بثورة ايلول (سبتمبر) 1961، فقد سيطروا على مدينة زاخو واخذوا يعدون العدة نحو دهوك، مما اضطر الجيش الوطني الى مطاردتهم وارجاع الامور الى ما كانت عليه، اذن هناك مصلحة غير شريفة لهم في اسقاط الحكم القاسمي، فأخذوا يتصيدون بالاوضاع المتأزمة بين قاسم وشركات النفط نتيجة صدور قانون رقم 80 الذي يحاصر حقوق امتيازها، ويفتح المجال لقيام شركة نفط وطنية، ومن هناك اخذت هذه القيادات ترضع وبتركيز شديد حليب اللاوطنية واللا ثورية، من حاضنات سافاك الشاه وموساد اسرائيل، وعندما نجح انقلاب 1963 كانت اول المؤيدين والداعمين له بالقول والعمل وهذا ما اعلنه الحزب الديمقراطي الكردي وعلى لسان احد قادته صالح اليوسفي.

اذا كنت لا تستحي فافعل ما شئت، وهذا ينطبق على نفاقها الحالي عندما تتمسح بالعلم الاول للجمهورية الاولى، التي ساهمت هي باسقاطها، ثم تأتي اليوم وترفعه كبديل عن العلم الرسمي الحالي، وواضح ان ذلك ليس لاقتناعها بصواب نهج جمهورية قاسم، وانما درءا للاحراج الذي قد يسببه رفضها للاعتراف بولائها للعلم العراقي المعترف به، فالتسفيه هنا فعل مقصود كي يؤسس عليه وحدانية الولاء لعلم اقطاعيتهم المجتزئة.

وبعد انشقاق هذه القيادات عن بعضها في عام 64، اخذ الصراع وضعه العشائري والاقطاعي الطبيعي بين من هم سورانيون، وبهدينيون، فتحالف الطالباني السوراني مع سلطة عارف، بالضد من البارزاني المتحالف مع ايران، وكون الطالباني افواجا خفيفة من اتباعه بدعم وتمويل حكومي لمقاتلة اتباع البارزاني وتسمية هذه الافواج بقوات الفرسان، وقتها كان الطالباني يقيم في احد فنادق بغداد «السندباد» وبحماية حكومية، وقد استخدم اتباع البارزاني وصف الجحوش للتعريف باتباع الطالباني من المقاتلين حينها!

عام 1982 تحالف الطالباني مع الحكم العراقي بالضد من عدوه البارزاني المتحالف مع ايران اثناء الحرب العراقية الايرانية، وبعدها بفترة وجيزة اقترف الطالباني وانصاره ابشع الجرائم بحق حلفاء اليوم من الشيوعيين بقتله اعداد كبيرة منهم بعد اسرهم، وكانت من بينهم نساء، بما سميت وقتها بمعارك «بشتاشان».

بعد عام 86 التحق الطالباني بحلف عدوه مع ايران، وكان لهذا الحلف دوره في تقدم القوات الايرانية مع كتائب بدر وقوات البيشمركة الطالبانية في عام 88 عبر الحدود الشمالية الشرقية لاحتلال مدينة حلبجة العراقية وقد احتلوها فعلا، وحصلت معارك طاحنة تعرض اثناءها مركز المدينة للغازات الكيميائية، وادى ذلك الى سقوط مئات الضحايا.

عام 1991 وبعد انسحاب الجيش من مواقعه في الشمال، حصلت عمليات نهب وسرقة منظمة تحت اشراف كوادر البيشمركة التابعة للحزبين، لكل مؤسسات الدولة والبنوك، ولم تسلم منها حتى المستشفيات ومحولات الكهرباء، حيث بيعت اثمن واحدث الاجهزةالطبية الدقيقة المنهوبة من مستشفيات اربيل والسليمانية ودهوك، في ايران وبأبخس الاثمان، وبعلم الجميع، لقد كان موسما للفرهود شبيه بموسم بغداد في 2003/4/9.

تقاتلوا وهم يتقاسمون السرقات، سرقة السلطة وسرقة اقوات الناس ثم المتاجرة بمعاناتهم !

ومنذ 94 تكرست حدود امارة طالبان، وحدود امارة بارزان، لكن الصراع ظل مشتعلا من اجل توسع نفوذ طرف على حساب الاخر، وكانت فكرة السيطرة على اربيل لما لها من موقع كبير، ويتوسط الطرفين، وكونها اهم واكبر محافظة في الشمال الشرقي من العراق، شكلت هاجسا ملحا لتحقيق اطماعهم التوسعية، خاصة بعد ان يأس الطرفان من امكانية الحاق هزيمة نهائية بالاخر، المدينة وقعت تحت سيطرة الطالبانيين اثناء المعارك الاولى، المسببة باختلافات حول توزيع حصص عائدات الكمارك الخاصة بنقطة حدود ابراهيم الخليل، لكن البارزانيين استعانوا بالقوات الحكومية لطرد الطالبانيين من اربيل وملاحقتهم حتى الحدود الايرانية، بعد ان قاموا بتنفيذ بعض شروطها، وتم لهم ذلك في عام 96 .

منذ عام 98 ومرورا بيوم الاحتلال الاسود في 2003/4/9 وحتى الان وهم يساندون بل ويجندون انفسهم في خدمة امريكا وجحافلها لمواصلة احتلال العراق، ووضعوا كل بيوضهم في سلة اعداء العراق ومحتليه، واخذت تراودهم نوبات حمى انتهاز الفرص، لترسيخ وشرعنة تحكمهم الاقطاعي في مناطق الشمال ، «اربيل ودهوك تحت سيطرة امارة بارزان ـ السليمانية تحت سيطرة امارة طالبان»، واتفق الطرفان على الاعتراف بالوضع كما هو عليه، واعطاء لنفسيهما الحق في التوسع باتجاه كركوك وخانقين والموصل حتى نهر دجلة، والعمل سوية لخلق الظروف المؤاتية في بغداد من اجل انتزاع اعترافها بضم هذه المناطق لنفوذ الامارتين، وبالتقاسم الاستثماري بينهما حتى لا يحتاجا اي مبرر لاعتبار بغداد مرجعيتهما، وذات الشيء ينسحب على موضوعة القوات العسكرية فالكل يحتفظ بما لديه، اضافة الى عرقلة اي محاولة حقيقية لاقامة جيش عراقي قوي، لانه قد يهدد نفوذهما المبني على حساب الدولة العراقية.

شطارة سياسية أم دعارة سياسية؟

هناك مثل شعبي عراقي يصف من يتظاهر بالمسكنة والمظلومية والاحقية الخ، وهويريد من وراء ذلك الاستقواء على بني قومه بقوة الاخرين، مقدما لهم كل فروض الطاعة والولاء، بعد ان استعطفهم واذل نفسه في خدمتهم، يقول المثل: «يتخنث للغلب؟» ومثل آخر رديف يقول: «ولية الغدار كافرة».

على هذا المنوال تنسج قيادات الشمال نسيجها الرديء الذي يبيع كل شيء واي شيء من اجل تحقيق مكاسب مادية وسلطوية فئوية على حساب شعب باكمله، بكرده وعربه وتركمانه، بمسلميه ومسيحييه، بكل طيفه الجميل المتناسق، انه النشاز الذي يتناغم مع نشاز قادم من الجنوب، والاثنان معا، يجاهدان لتعميم الفرقة والتنابز والاستقطاع، وقد مال لهم نشاز آخر في الوسط، يستجيب ولا يعيب عليهم هذا التمادي في الانحدار، ايها المنشزون جميعا رفقا باسماعنا فما عادت تحتمل صخب الموت الذي تبيعوه علينا باسم الديمقراطية التي لا تعرفونها، تكسرون الوطن لتحولوه الى ضياع تتوارثوها، وحتى تكون الجريمة كاملة، تسوقون الناس للتصويت لكم، ترهيبا وترغيبا وتجهيلا، بصكوك الغفران او باحلام جنان الدولة العرقية المزعومة او بالوعود الوردية التي تنقلب الى دم نازف.

«باقة لا تحلين، خبزة لا تثلمين، بصلة لا اجيبين، أكلي حتى تشبعين» هذا هو حال حريتهم وتنميتهم، اما حريتهم الصحافية والاعلامية والحزبية فحدث ولا حرج!، نعم كل شيء انت حر في التعبير عنه، ولكن لا يجب ان تؤثر على الرأي العام، وان فعلت فالكل جريمة ثمنها الذي يجب ان يدفع، السجن، او الموت، او التهجير، او التوبة ! ما الفائدة اذن من كل هذا اللف والدوران يا اساتذة كل المراحل؟

ما حصل في مدينة حلبجة في اذار (مارس) الماضي من هبة شعبية ضد الفساد والكذب والمتاجرة بمعاناة الناس، لهو ارهاصة معبرة، لما يعتمل في صدور الجميع، وسينفجر عاجلا ام اجلا مرجل الاهالي الذي يفور غيظا على سراق قوتهم واحلامهم ومحتلي ارضهم وسمائهم ومصيرهم، في مدن الشمال و الجنوب والوسط، ووقتها لا تنفع اساليب المداهنات وشراء الذمم والشطارة في الضحك على الذقون، ولا تنفع الدعارة السياسية وغير السياسية في ذرالرماد بعيون العامة عن رؤية حقيقتهم العارية والبعيدة كل البعد عن تطلعات اهل البلد كل البلد.

* كاتب من العراق

العرب، وايران... والاستراتيجية النووية

د. عبد الله هلال*

■ قامت الدنيا ولم تقعد (عند الحلف الصهيوني الامريكي بالطبع) لمحاولة ايران امتلاك جزء من المعارف الحديثة المهمة، وهي المعرفة النووية.. ولجا الحلف المدلّس المزور الى الخداع وايهام العرب بخطورة امتلاك ايران للسلاح النووي، وانه (اي السلاح النووي) سوف يكون خطرا على العرب انفسهم. فهل صحيح ان امتلاك ايران للمعرفة النووية، او حتى للسلاح النووي؛ يشكل خطرا على العرب؟ وهل من حق الحلف الصهيوني الامريكي او غيره منع العرب والمسلمين (او غيرهم) من امتلاك السلاح النووي كاداة ردع ضد من يهدد وجودهم بترسانته النووية؟

هناك ما يعرف بالاستراتيجية النووية، والتي تسعى الدول المستهدَفة من عدو الى تحقيقها، وترتكز على اربعة محاور:

(1) منع العدو من امتلاك السلاح النووي بكافة الوسائل الممكنة، حتى وان ادى ذلك الى تدمير المنشآت النووية للعدو، وقد فعلت ذلك اسرائيل عام 1981 ضد المفاعل النووي العراقي، وقبلها في احد الموانئ الفرنسية ضد مفاعل عراقي ايضا، وحاولت ضد مصر اثناء حرب الاستنزاف ولكنها اخطأت الهدف ودمرت مصنع للحديد والصلب (ابو زعبل).

(2) اذا لم تتمكن الدولة من منع العدو من امتلاك السلاح النووي فالواجب عليها السعي لامتلاكه، وقد فعل ذلك الاتحاد السوفييتي، وباكستان، وكوريا ... الخ.

(3) اذا عجزت الدولة عن تحقيق أحد الخيارين السابقين، فيجب عليها امتلاك خيار بديل يصلح رادعا لمنع العدو من استخدام سلاحه النووي، مثل الاسلحة الكيميائية او حتى التقليدية بشرط استخدامها بكثافة على مئات المواقع في وقت واحد بالاستعانة بالصواريخ والطائرات.. الخ، بحيث يفهم العدو ان الرد سوف يكون موجعا ولا قبل له به.

(4) اذا كانت الدولة (عاجزة) عن تحقيق اي من الخيارات السابقة فعليها اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستيعاب الضربة النووية وتقليل الخسائر بقدر الامكان، اي تظل على قيد الحياة، وهذا خيار العاجز.. وبالمناسبة فحتى هذا الخيار الاخير (العاجز) غير موجود في كل الدول العربية.

والواقع ان كل الدول العربية عجزت عن التفكير في الاستراتيجية النووية (باستثناء عراق ما قبل الاحتلال، والذي تآمر عليه العرب)، على الرغم من ان العدو الصهيوني يمتلك السلاح النووي ويهدد الجميع بلا شك، لان هذه العصابة الصهيونية لا يمكن ان تشعر بالامان او الراحة ما بقي عربي على قيد الحياة، فاللص بالطبع لا يمكن ان يستمتع بالنوم في البيت المسروق.

■ هل من حق العرب والمسلمين امتلاك السلاح النووي؟

■ هذا سؤال استراتيجي مهم، فمادام هناك عدو يمتلك سلاحا فتاكا، فمن السذاجة النوم والتغافل عن هذا الموضوع.. لابد من وجود رادع يمنع العدو من التفكير في استخدام سلاحه.

وفي الحقيقة ان وجود الرادع هو الوحيد الذي يمنع استخدام هذا السلاح، ولو ان اليابان كانت تستطيع الرد على امريكا لما دُمرت هيروشيما وناغازاكي، وقد تم تجميد السلاح النووي في كل من الهند وباكستان بامتلاكهما له معا. لن يمنع العدو الصهيوني من ابتزاز العرب والمسلمين بالتهديد النووي الا امتلاكنا لهذا الرادع. الامر اذاً ليس مجرد حق الامتلاك، ولكنه واجب، والتفريط فيه انتحار او خيانة، وليس مجرد سذاجة. وليس من حق امريكا ولا غيرها منع المهدد بالابادة من امتلاك سلاح رادع يحمي به نفسه، ولكنها القرصنة الامريكية الصهيونية.. والتي يشجعها الانحناء العربي المخزي (اوقفت احدى الدول العربية استخدام «عنصر» اليورانيوم في البحوث «غير النووية»، وربما تفكر في الغائه من الجدول الدوري للعناصر!!!، رعبا من الحلف الصهيوني الامريكي ـ رغم ان احدا لم يطلب منها ذلك لانه لا قيمة نووية له).

■ هل يمكن ان تهدد ايران جيرانها العرب بالسلاح النووي؟

■ هذا سؤال لا محل له، لانه لا يمكن لدولة ان تستخدم سلاحا نوويا ضد جيرانها، لان اكبر مشكلة لاستخدام هذا السلاح هي التلوث الاشعاعي الناشئ عنه، والذي ينتشر خلال مساحة واسعة جدا ويستمر لازمان طويلة.. فالتدم